التحذير من

الأحزاب والجماعات المحدثة

الشيخ

عبدالله بن صلفيق الظفيري

حفظه الله

miraath.net

ميراث الأنبياء

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

Miraath.Net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يسر موقع ميراث الأنبياء وضمن سلسلة محاضرات

في

الأمن الفكري

أن يقدم لكم تسجيلًا لمحاضرة بعنوان:

التحذير من الأحزاب والجماعات المحدثة

ألقاها

فضيلة الشيخ: عبد الله بن صلفيق الظفيري

-حفظه الله تعالى-

يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر رجب عام سبعة وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية في جامع الملك

عبد الله بن عبد العزيز آل سعود -رحمه الله تعالى-.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفع بها الجميع.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ آل عمران: ٢٠١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ال ساء: ١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾الأح زاب: ٠٧ - ١٧

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم -، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار،

أما بعد:

فبادئًا نحمد الله -سبحانه وتعالى- أن هيَّأ لنا ولكم هذا الاجتماع في بيت من بيوت الله نتلو كتاب الله ونتدارسه فيما بيننا، سائلين الله -عز وجل- أن نكون ممن حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده.

إخواني: إن الله -سبحانه وتعالى- قد أكمل لهذه الأمة دينها وأتم لها النعمة، وذلك ببعثة محمد -صلى الله عليه وسلم- وإنزال آخر كتاب من الكتب السماوية القرآن العظيم كلام الله الناسخ لما قبله من الكتب، يقول الله -عز وجل-: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]، وهذه الآية مما فرح بها المسلمون واغتبط بها الكافرون، فلقد جاء في صحيح البخاري: «عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ اليَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ، لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]، قَالَ عُمَرُ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ اليَوْمَ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ».

والإسلام جاء بتحقيق المصالح وتكميلها، وبدرء المفاسد وتخفيفها، ومن ذلكم: الأمر بالاجتماع، وترك التنازع والاختلاف فإن ذلك من تمام الخير الذي أنزله الله -عز وجل-، فإن الخير كله بأن يجتمع المسلمون تحت كتاب الله وسنة رسوله وتحت قيادة وعقيدة واحدة يأمنون في ذلك بعد الله وتوفيقه على دينهم وأنفسهم، ودمائهم، وأعراضهم، وقوتهم، وأمنهم مما يحقق لهم أن يعبدوا الله وهم آمنون مطمئنون بعيدون عن الخوف والرعب، ولا ينفذ عليهم عدوهم، ولما كان الاختلاف والتفرق والتنازع مما يحقق المفاسد بجميع أشكالها وأنواعها، فلقد جاء الشرع بتحريم الاختلاف والتنازع، وهذا من أعظم ما جاء به نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وذلكم أن أهل الجاهلية كانوا في افتراق وفي تنازع واختلاف، سواءً المشركون الذين يعبدون الأوثان والأصنام، والأحجار، والأشجار، أو أهل الكتاب الذين حرفوا دينهم وتفرقوا على إحدى وسبعين فرقة وهم اليهود، وعلى ثنتين وسبعين فرقة وهم النصارى، فكانوا في جاهلية جهلاء، وفي تفرق واختلاف وتنازع وحروب فيما بينهم، ولا يرون الولاية عليهم، ولا يرون

الاجتماع تحت قيادة واحدة، فهم متفرقون في القلوب والعقائد ومتفرقون في الأبدان، وكان هذا من مسائلهم التي خالفهم فيها نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، فهذا حال الجاهلية وقد أخبرنا الله -تعالى- بشيء من ذلك، كما قال -عز وجل- مذكرًا الأوس والخزرج على ما كانوا عليه من حروب في أمداد طويلة وأعمار بعيدة ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ ١٠٣ ﴾ آل عمران: ١٠٣، وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ آل عمران: ١٠٥، فيخبرنا ربنا عن حال أهل الجاهلية، وقد نبه على ذلك شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في رسالته «مسائل الجاهلية» فقال: "**المسألة الثانية: -أي مما عليه أهل الجاهلية- أنهم متفرقون ويرون السمع والطاعة مهانة ورذالة، فأمرهم الله بالاجتماع ونهاهم عن التفرقة فقال -عز وجل-:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢ ﴾ آل عمران: ١٠٢، **أي: موحدون** ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣ ﴾ آل عمران: ١٠٣" يقال وهذا تعليق الألوسي على هذا الكلام لشيخ الإسلام ابن عبد الوهاب -رحمه الله-، يقول محمود شكري الألوسي: "**يُقال: أراد -سبحانه- بما ذكر ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة إلى أن ألَّف -سبحانه- بينهم بالإسلام فزالت الأحقاد، قاله ابن إسحاق، وكان يوم بعاث آخر الحروب التي جرت بينهم وقد فُصِّل ذلك في "الكامل" أي لابن الأثير قال: ومن الناس من يقول: أراد ما كان بين مشركي العرب من التنازع الطويل والقتال العريض ومنه حرب البسوس كما نُقل عن الحسن -رضي الله تعالى عنه- وقال تعالى:**

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾ [التغابن: ٦١] إلى غير ذلك من الآيات الناصة على النهي عن الاستبداد والتفرق وعدم الانقياد والطاعة مما كان عليه أهل الجاهلية".

ثم ذكر شيخ الإسلام المسألة الثالثة التي تدل على تفرق الأبدان فإن التفرق يكون تفرق قلوب وتفرق أبدان، وكلاهما جاء الشرع بالتحذير منهما، قال المسألة الثالثة: "أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له عندهم فضيلة وبعضهم يجعله دينًا. فخالفهم النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك وأمرهم بالصبر على جور الولاة، والسمع والطاعة والنصيحة لهم، وغلظ في ذلك وأبدى وأعاد" قال: "وهذه الثلاث هي التي ورد فيها ما في الصحيح عنه -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللهَّ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهَّ جَمِيعًا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُّ أَمْرَكُمْ» إلى آخر ما ذكر مما يبين لنا حال ما كان عليه أهل الجاهلية من التفرق والتنازع.

وإن معرفة الشر، ومعرفة ما كان عليه أهل الجاهلية مما يجعل المرء أكثر تمسكًا بدينه، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- خالف المشركين وخالف أهل الجاهلية وكما قال عمر: "من لا يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام"، فإن معرفة أولئك القوم وبما كانوا عليه من تفرق وما أنتج فيهم من ضعف أمام الأمم، وكيف تحول العرب إلى قوة عظيمة جبارة في دينها وعقيدتها وفي حروبها، إنما كان ذلك ببعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومن قاس حال العرب بعد البعثة، وقاس العرب قبل البعثة يعلم أن الإسلام جاء بالاجتماع وبترك الاختلاف والتنازع، ويعلم بأن قوة الأمة إنما لا تكون بعروبتها وإنما تكون بدينها الذي جمعها تحت كتاب واحد، ودين واحد، ونبي واحد

وإلا فإن العرب كانوا لا يؤبه لهم أمام الفرس والروم، حتى إن الفرس لما سمعوا بأن العرب سيغزوهم استهانوا في ذلك قالوا: أعراب يتبعون الإبل والغنم ويعيشون في الصحاري يريدون أن يسقطوا دولة عظيمة مدى الدهور كانت باقية! ولكنه الإسلام جاء بالقوة والعزة كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾[المنافقون: ٨].

ولو نظرنا إلى النصوص الشرعية في هذا الباب لوجدنا أن الشرع جاء بالأمر بالاجتماع وحرم التنازع والافتراق، ولنقف مع هذه النصوص الشرعية وكلام أهل العلم مما يعظم في نفوسنا أمر الاجتماع، وبعد ذلك نستعرض حال الأمة في زماننا وكيف أنها لما خالفت هذه النصوص الشرعية وعادت إلى التنازع والافتراق متمثلًا ذلك بالأحزاب والجماعات المعاصرة، رأينا كيف عاد الناس بهذه الرايات المخالفة البدعية إلى حال أهل الجاهلية.

وأما الآية والنص الأول فهو ما ذكرناه ونعلق عليه ويتبين لنا من خلاله الأسباب التي فيها الاجتماع، يقول الله -عز وجل- بما ذكرنا من الآية السابقة ونعيدها مع شرح مختصر لها، يقول الله -عز وجل-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ

ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾ آل عمران: ١٠٢ - ١٠٨

يأمر الله –عز وجل- عباده المؤمنين، ويناديهم باسم الإيمان للدلالة على أن الاجتماع والاعتصام والتمسك بالتوحيد وهو الإسلام هو من علامات أهل الإيمان، ومن أبرز دلائل الإيمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ آل عمران: ١٠٢، وبدأها بالأمر بالتقوى؛ لأن التقوى وصية الله –تعالى- للأولين والآخرين، وهي زمام كل خير، ومفتاح الجنة وسعادة الدنيا والآخرة ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ آل عمران: ١٠٢، أي: موحدون، مستسلمون، منقادون لأمر الله وأمر رسوله –صلى الله عليه وسلم-.

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ١٠٣، الاعتصام: هو الاجتماع والائتلاف بحبل الله، المراد به القرآن، أو المراد به السنة، أو المراد به الإسلام، أو المراد به التوحيد، أو المراد به الاعتقاد الصحيح، ولا منافاة في ذلك فإن هذا من اختلاف التنوع ويشمل ذلك كله، وهذا دلالة على أن الاجتماع الصحيح ليس اجتماع الأبدان بقدر ما هو اجتماع القلوب تحت راية عقدية واحدة، وتحت رسالة واحدة، وتحت كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم-، وهو الذي يثمر ما أثمره للعرب والأوس والخزرج عندما اجتمعوا واعتصموا برسالة محمد –صلى الله عليه وسلم- ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ آل عمران: ١٠٣، أي: لا تختلفوا على عقيدتكم، ولا على توحيدكم، ولا على سنة نبيكم، ولا على ما كان عليه الخلفاء الراشدون والسلف الصالحون.

فإذا تنوعت العقائد فهذا هو التفرق والتنازع ولهذا ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بُعث في أقوام متفرقين، ثم بيَّن كيف التفرق، فقال: منهم من يعبد الشجر، منهم من يعبد الحجر، منهم من يعبد الملائكة، منهم من يعبد النجوم، منهم من يعبد الصالحين، منهم من يعبد الأنبياء وهكذا، فهذا تفرق وهو الذي يفسد على العباد حياتهم وآخرتهم ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ آل عمران: ١٠٣.

ثم يُذَكِّرُ الله -عز وجل- ما كان عليه العرب الأوس والخزرج ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ آل عمران: ١٠٣، ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾ آل عمران: ١٠٣، إذا اختلفت العقائد أصبحت بذلك الحروب، فالعرب كانوا متفرقين وأصحاب رايات كل يغزو الآخر، متشتتين لا تجمعهم عقيدة واحدة، ولا ملة واحدة، ولا عبادة واحدة، ولا نبي واحد، فجاءهم الله بهذا الخير العظيم بالتوحيد وببعثة محمد -صلى الله عليه وسلم- فاعتصموا، واجتمعوا، ونسوا ماضيهم وأصبحوا يحب بعضهم بعضًا، ووصف ذلك ربنا بالأخوة ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ﴾ آل عمران: ١٠٣، والمراد بالنعمة هنا بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم يصبحوا متفقين بعروبتهم، ولا بشعارات ورايات مخالفة للاعتقاد الصحيح، فهذه لا تجمع، وواقع الأمم عمومًا، وواقع العرب خصوصًا يدل على أن اجتماعهم على غير ملة محمد -صلى الله عليه وسلم- ليس ذلك بنافع لهم أبدًا، والعرب لم تقف أمام فارس والروم لعروبتهم بقدر ما وقف العرب والمسلمون بعقيدتهم ودينهم، فأنزل الله عليهم نصرًا مبينًا عندما اجتمعوا على دين واحد وعقيدة واحدة وتوحيد واحد.

ومهما بذل الناس من أسباب حسية وقوة عسكرية يريدون بها نصرًا دون الاعتقاد والاجتماع على عقيدة وتوحيد لن يكون ذلك بنافع لهم، وتاريخ الأمة يشهد بذلك ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ آل عمران: ١٠٣، بالشرك بالضلال، بالهوى، بعبادة ما سوى الله، بعدم الإيمان باليوم الآخر، وبما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ آل عمران: ١٠٣، آياته الشرعية ودلائله وبراهينه، ألا ما اجتمعتم عليه بعد أن كنتم ترون التفرق والتنازع بأم أعينكم، فأصبحت قلوبكم تحب بعضها بعضًا، قبل أن كنتم متحاربين، وهذا من أعظم دلائل نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ومن أعظم دلائل صدقه وصدق آياته ﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ آل عمران: ١٠٣.

ثم بين الله -تعالى- سببًا ظاهره عند الناس أنه يفرق، وحقيقته هو من أكبر أسباب الاجتماع والائتلاف ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ آل عمران: ١٠٤، انظر جاءت هذه الآية بعد الأمر بالاجتماع وبعد النهي عن الاختلاف والافتراق حيث بعدها قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ﴾ آل عمران: ١٠٥، فوجود هذه الآية بين هذا الأمر وهذا النهي دلالة على أن من أكبر أسباب الاجتماع الدعوة إلى الله وهو الدعوة إلى التوحيد والإخلاص لله -عز وجل-، والأمر بالمعروف، **والمعروف:** "كل ما أمر الله به وكل ما أمر به رسوله -صلى الله عليه وسلم-".

﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، **والمنكر:** كل ما نهى الله عنه وكل ما نهى عنه رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وأكبره الشرك بالله -عز وجل-، ثم البدع والكبائر وسائر الفواحش والمنكرات، وسمى الله القائمين بهذه الشعيرة العظيمة وهو تعليم الناس، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن أصحابه هم المفلحون، ثم إن الفلاح لم يذكره ربنا مقيدًا ليشمل فلاحًا دنيويًا وفلاحًا أخرويًا.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، أي: تفرقوا في عقائدهم، وتركوا سنة نبيهم، فدل على أن التفرق محرم وكبيرة من الكبائر، ومن أكبر أسباب ضعف وهوان الأمة، وهو من عادات الأولين الذين أُمرنا بمخالفتهم؛ ولهذا ذكر هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في كتابه: «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم» أن الأولين من أهل الكتابين مختلفون متنازعون متفرقون وأن مشابهتهم في إيجاد الفرق والجماعات إنما هو تشبه بأهل الكتاب، ووقوع فيما وقعوا فيه من منكر ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، أي: الدلائل والبراهين، فلا يجوز لنا أن نختلف وأن نتنازع، والبراهين بين أيدينا من كتاب ربنا وسنة نبينا ومنهج سلفنا الصالح، ويجب أن نرد ما نتنازع فيه إلى ما أمرنا الله به؛ لنتجنب الاختلاف والتنازع ولنكن جماعة واحدة لا جماعات، وفرقة واحدة لا فرق ولا محدثات بالالتزام بشرع الله -عز وجل- وفي ذلك رد على من أرادوا جمع المسلمين تحت أي راية من الرايات الدينية أو الرايات اللادينية المخالفة لمنهج سلف هذه الأمة، فلن يكون اجتماع صحيح يرضى عنه ربنا إلا بما أمرنا الله به، وأمرنا به رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخۡتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٥،

وهذا دليل آخر على أن التفرق من الكبائر؛ لأن الكبائر إما النهي عنه، أو الوعيد لصاحبه بالعذاب، والله توعد المتفرقين المتنازعين عن حبل الله وعن صراطه بالعذاب، بل وصف الله المتفرقين بسواد الوجوه في الآخرة، والمجتمعين على دين واحد، وعقيدة واحدة، ومسلك واحد ببياض الوجوه، قال -تعالى-: ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ ﴾ آل عمران: ١٠٦، قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: **"تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة"** فدل على أن البدع وأهلها ممن تسود وجوههم يوم القيامة بنص كلام الله، وبنص تفسير ابن عباس -رضي الله عنهما- حبر الأمة وترجمان القرآن ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُوا۟ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٦ - ١٠٨، أي أن بيان هذه الأصول من رحمة الله -عز وجل-، وأن تركها ظلم للنفس، وهذا ما يدل عليه حديث نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، هذه المسائل الثلاث هي أعظم ما جاء به نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وخالف فيها المشركين، وسيأتي أن الفرق والأحزاب المعاصرة خالفت النبي في هذه الثلاث، وأعادت الأمة إلى ما كان عليه أهل الجاهلية، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنَّ اللهَّ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهَّ جَمِيعًا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُّ أَمْرَكُمْ»وفي رواية «وَتُطِيعُوا لِمَنْ وَلاهُ اللهُّ أَمْرَكُمْ» إذًا الله -سبحانه وتعالى-

يرضى منا الاجتماع، ويرضى منا الاعتصام بحبله وكتابه وسنة نبيه، يرضى منا التوحيد والدعوة إلى التوحيد؛ لأنه أعظم أسباب رضا رب العالمين، وأعظم أسباب بركة الحياة، وأعظم أسباب النجاة يوم القيامة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[النساء: ٤٨]، ولهذا كان الأنبياء جميعهم -عليهم السلام- من نوح -عليه السلام- إلى خاتمهم محمد -صلى الله عليه وسلم- كلهم يبدءون أقوامهم ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ ﴾[المؤمنون: ٣٢]، والشرك أعظم خطر على العباد ولهذا خافه على نفسه أبو الأنبياء، وخافه على ولده فوصى أولاده بألا يعبدوا الأصنام ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾[إبراهيم: ٣٥ - ٣٦]، كثير من الناس أعطوا عقولًا، وأعطوا ذكاءً، صنع الصناعات الجبارة، ولكن يراهم إبراهيم يعبدون من لا يملك لهم رزقًا ولا نفعًا، فأين هذه العقول الجبارة؟!

ولكن أعطوا ذكاءً ولم يعطوا زكاءً، فليس كل من أعطي ذكاء يوفق إلا من وفقه الله وزكاه، فلهذا إبراهيم خاف على نفسه وخاف على ولده، ولهذا يقول إبراهيم التيمي: **"ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟!"**، إبراهيم - عليه السلام- أبو الأنبياء خاف على نفسه الشرك، واليوم بعض الدعاوى من بعض الجهال يقول: إلى متى التوحيد التوحيد التوحيد؟! فهمنا التوحيد، وأبو الأنبياء يخاف على نفسه وولده الشرك، ووصى بها إبراهيم، كذلك يعقوب، جميع الأنبياء يوصون أبناءهم وذرياتهم بالتوحيد ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عمران: ١٠٢].

والثانية: الاعتصام والاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله.

وثالثها: طاعة من ولاه الله الأمر؛ لأن في ذلك حفظًا للأديان، وحفظًا للأعراض، وحفظًا للدماء، وحفظًا للأموال، وحفظًا للأنفس، وحفظًا للأمن، فإذا لم يكن ثمَّ إمام فيصبح الأمر فوضى، ونهبًا، وقتلًا.

وواقع اليوم يشهد بذلك، فالإمامة شرعت لحفظ الدين والأمن، وحفظ الأعراض والأنفس، وكما أسلفت الإسلام جاء بتحقيق المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتخفيفها.

ومما ورد أيضًا في هذا الباب؛ الأمر بالاجتماع وثمرته: ما جاء عند الترمذي، وابن ماجه، وأحمد من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: «قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-: ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ» يقول السعدي -رحمه الله تعالى- في كتابه «بهجة قلوب الأبرار» قال الشيخ شمس الدين بن القيم -رحمه الله تعالى- في شرح هذا الحديث: "أي لا يبقى فيه غل ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة. بل تنفي عنه غله وتنقيه منه وتخرجه منه. فإن القلب يُغل على الشرك أعظم غل، وكذلك يغل على الغش وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة. فهذه الثلاثة تملؤه غلًا ودغلًا. ودواء هذا الغل واستخراج أخلاطه بتجريد الإخلاص، والنصح، ومتابعة السنة" انتهى كلام ابن القيم، قال معلقًا الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: "فمن أخلص أعماله كلها لله، ونصح في أموره كلها لعباد الله، ولزم الجماعة بالائتلاف وعدم الاختلاف، وصار قلبه صافيًا نقيًا، صار لله وليًا، ومن كان بخلاف ذلك امتلأ قلبه من كل آفة وشر، والله أعلم" انتهى كلامه.

وهنا كلام عظيم لشيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في هذا الباب قاعدة في الاجتماع والاختلاف، يذكر ما دل عليه القرآن من تحريم الاختلاف والتنازع ويذكر أسباب الاجتماع

وثمرة الاجتماع، ثم يذكر أسباب الاختلاف والتنازع، والنتيجة على الأمة من هذا الاختلاف والتنازع، يقول -رحمه الله تعالى-: **"وتقع العداوة بين الطائفتين بسبب ترك حظ مما ذكروا به. والبغي الذي هو مجاوزة الحد إما تفريطًا وتضييعًا للحق، وإما عدوانًا وفعلًا للظلم، والبغي تارة يكون من بعضهم على بعض، وتارة يكون في حقوق الله، وهما متلازمان، ولهذا قال بغيًا بينهم فإن كل طائفة بغت على الأخرى فلم تعرف حقها الذي بأيديها ولم تكف عن العدوان عليها"** ثم ذكر الآيات الدالة على ذلك، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ [البينة: ٤]، وقال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [البقرة: ٢١٣]، أي: على دين واحد وعقيدة واحدة ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ [الجاثية: ١٦]، وقال -تعالى- في موسى بن عمران مثل ذلك، وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، أي: أحزابًا ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٣٠ - ٣٢]، شيعًا: أحزابًا، ثم قال: **"لأن المشركين كل منهم يعبد إلهًا يهواه"**، كما في الآية الأولى: ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ ﴾ [المؤمنون: ٥١ - ٥٣]، أي: مختلفين

متنازعين ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٥٣﴾[المؤمنون: ٣٥]، ثم قال النتيجة -شيخ الإسلام-: "فظهر أن سبب الاجتماع والألفة جمع الدين، وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما أمر به باطنًا وظاهرًا" ثم قال: "وسبب الفرقة ترك حظ مما أُمر العبد به، والبغي بينهم". ثم قال: "ونتيجة الجماعة رحمة الله ورضوانه وصلواته وسعادة الدنيا والآخرة وبياض الوجوه" ثم قال: "ونتيجة الفرقة عذاب الله ولعنته، وسواد الوجوه، وبراءة الرسول -صلى الله عليه وسلم- منه" ثم ذكر قال: "وهذا أحد الأدلة على أن الاجماع حجة قاطعة، فإنهم إذا اجتمعوا كانوا مطيعين لله بذلك مرحومين، فلا تكون طاعة الله ورحمته بفعل لم يأمر الله به من اعتقاد أو قول أو عمل" يعني الاجتماع لا يكون بالبدع والأهواء والضلالات، وفي هذا أعظم رد على من يقول نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، فتجد في صفهم بزعمهم أن هذا يوحد المسلمين ويقوي شوكتهم، تجد في صفهم من يعبد غير الله، ومن يسب صحابة رسول الله، ومن يعتقد اعتقاد الجهمية، ومن ينفي أسماء الله، ومن هو على فكر الخوارج، ويقولون نحن جميعًا مسلمون فلا تفرقوا المسلمين بذكر البدع، وذكر ما سبق في الأمة من آراء الجهمية والمعتزلة والمرجئة والخوارج، فهذا الكلام يرد هذا التقعيد الفاسد، وسيأتي ذكر هذا التقعيد الفاسد.

فهذا أيها الإخوة: ما جاءت النصوص به من الأمر بالاجتماع وتحريم الافتراق، وتحريم اتباع الرايات والأحزاب والجماعات المخالفة لما كان عليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصحابته، وهل التزم الناس بذلك؟

ما ذكرناه هو أمر الله الشرعي، الذي يجب أن يُعمل به، ولكن أمر الله الشرعي قد يقع وقد لا يقع، فإن الهداية هدايتان، والإرادة إرادتان؛ هداية شرعية دينية، وهي هداية البيان والإرشاد،

وكذا الإرادة إرادة شرعية، وهداية كونية قدرية وهي هداية التوفيق والإلهام والإرادة الكونية، فهذه لابد من حصولها لمن أراد الله -عز وجل- ومن ذلكم حصول الاختلاف والتفرق في الأمة كما حصل لمن قبلنا، فالفِرَق والأحزاب لازالت تخرج من آخر عهد الصحابة من قيامهم على عثمان بن عفان، وخروجهم على عثمان، وخروجهم على علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ثم ظهور الآراء من المعتزلة، والجهمية، والرافضة، والصوفية، وغيرهم من الأهواء والبدع وتشعب ذلك إلى يومنا هذا، فهذا أمر واقع ملموس مشاهد وهو من إرادة الله الكونية والتي أخبر بها نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وإنما أخبر بها النبي -صلى الله عليه وسلم- على سبيل التحذير وبيان العلاج الناجح الراد للاختلاف والتفرق، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يترك أمته هملا، وكما سيأتي، فأولها ما جاء عند الترمذي وحسنه الألباني بمجموع طرقه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»» وفي رواية: « مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي».

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أخبرنا في هذا الحديث ما سيحصل من الافتراق والتنازع، وكثرة الرايات والأحزاب، ولم يترك النبي أمته -صلى الله عليه وسلم- هملًا في حيرة من أمرهم لما أخبر أنها كلها في النار، ومن حرص الصحابة وشفقتهم واجتهادهم لم يتركوا الأمر بل سألوا

نبيهم -صلى الله عليه وسلم- عن هذه الفرقة الناجية وإنما سألوا عن أوصافها لا عن أعيانها ليلتزموا بأوصافها فقال -صلى الله عليه وسلم-: « مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي » انظر! لم يقل النبي -صلى الله عليه وسلم- أنا وأصحابي وإنما قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي » وفي رواية «الْجَمَاعَةُ» فدل على أن الفرقة الناجية هي من اتصفت واتبعت ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وخلفاؤه الراشدون والصحابة الأكرمون، ودل على أن الجماعة هو الحق وهو الذي كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ويدل على ذلك أيضًا ما جاء في كتاب «السنة لابن أبي عاصم» قال: **"ذكر الأهواء المذمومة نستعصم الله -تعالى- منها ونعوذ به من كل ما يوجب سخطه"** ثم ذكر بسنده إلى معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يَكُونُ أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ» أي تسير بهم وتسيرهم الأهواء، والمراد بالأهواء كل ما هو ضد الحق من اتباع العقل، أو الفلسفة، أو الرأي، أو القياس الفاسد، أو غير ذلك مما يصادم الحق مما قاله الله، وقاله رسوله -صلى الله عليه وسلم-: «يَكُونُ أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ» أي تسري في دمائهم فيغضبون لها، ويوالون لها، ويعادون لها، ويحاربون من أجلها؛ لأن قلوبهم اشرأبت بهذه الأهواء فلا ترى حقًا إلا ما تربت عليه، وامتلأت قلوبهم حبًا لها، وهي مخالفة لشرع الله، ثم شبه النبي -صلى الله عليه وسلم- تلكم الأهواء، قال: «كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ ، فَلا يَبْقَى مِنْهُ مَفْصِلٌ إِلا دَخَلَهُ».

المراد بالكَلَب: هو المرض الذي يصيب الإنسان من جراء عض الكلب وهو المسعور، فإن الإنسان إذا عضه كلب مسعور فإن تلكم العضة تنتقل في دمه، فلا يقبل شرب الماء حتى يموت

عطشًا، فاشرأب قلبه دمه بمرض المسعور، مرض الكَلَب مأخوذ من الكلب؛ لأن نتيجته عض الكلب، فكذلك الأهواء تسير في قلوب أصحابها حتى تُعمي أبصارهم حتى يموتوا على حبهم لهذا الهوى ودفاعهم عنه، ولقد رأيتم ورأينا ما تفعله داعش والخوارج يفجرون أنفسهم يرون أن هذا هو الجنة، وأن هذا هو سبيل رضا الله بقتل الناس وسفك الدماء وتفجير المساجد، وترك أهل الكفر وقتل أهل الإسلام، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، قتلوا عثمان يزعمون أنهم يُريدون الجنة، وقتلوا عليًّا يريدون الجنة، وحاربوا الصحابة يُريدون الجنة، وهذه البدع تجر إلى السيف -كما سيأتي-.

ثم ذكر أيضًا ابن أبي عاصم عن أبي عامر الهوزني أنه حج مع معاوية فسمعه يقول: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَوْمًا فَذَكَرَ: أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ تَفَرَّقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الأَهْوَاءِ» انظر! أي أن هذا الافتراق ليس نتيجته الحق وإنما سببه الأهواء افترقوا في الأهواء «أَلا وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الأَهْوَاءِ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، أَلا وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يَهْوُونَ هَوًى يَتَجَارَى بِهِمْ ذَلِكَ الْهَوَى كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ بِصَاحِبِهِ، لا يَدَعُ مِنْهُ عِرْقًا وَلا مَفْصِلا إِلا دَخَلَهُ».

ومما يدل أيضًا على حصول التنازع والافتراق، ومما يدل على رأفته ورحمته -صلى الله عليه وسلم- أنه لما أخبر بذلك لم يترك أمته سدى، بل أخبرهم بالعلاج والطريق الذي يُنجيهم من هذا التفرق والتنازع والاختلاف، وأخبرهم وحذرهم مما هو سبب وحدوث ذلكم الافتراق والتنازع والاختلاف، وذلك ما رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وغيرهم من

حديث العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: «وَعَظَنَا رَسُوْلُ اللهِ -صَلَّ الله عليه وسلم- مَوْعِظَةً وَجِلَت مِنْهَا الْقُلُوْبُ، وَذَرِفَتْ مِنْهَا الْعُيُوْنُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُوْلَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا، قَالَ: أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ -عَزَّ وَجَلّ-، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيْراً. فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ الْمَهْدِيِّيْنَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُوْرِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ».

الوصية عندما يقرب الإنسان أجله فإنه يختار أعظم ما يراه مهمًا فيُوصي به أبناءه أو من يريد أن يوصي، الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعظ أصحابه فوصاهم بأعظم وصايا، تحفظ لهم دينهم وأمنهم وعقيدتهم وجماعتهم، فأوصاهم أوّلًا: بالتّقوى؛ لأنّ العبد إذا اتّقى الله حكّم الكتاب والسّنّة ولم يحكّم هوى نفسه ومطامعه، فإنّ الخوارج لديهم من المطامع الدّنيويّة التي يدلّ على قلّة تقواهم، فيقدّمون مطامعهم على حساب الأمّة، وعلى حساب أمن الأمّة، وعلى حساب أرواح المسلمين، انظروا إلى الرّبيع العربي هناك أناس يسيّرون الشّعوب لتحقيق مآربهم فيجعلون جماجم العباد المسلمين جسرًا للوصول إلى الحكم والغايات الدّنيويّة، فلا يريدون تقوى.

وممّا يدلّ أيضًا أنّ أولئك الذّين دخلوا على عثمان بن عفّان، يدّعون الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، نهبوا أمواله في نفس المكان وضربوا زوجته نائلة حتّى قال خسيس منهم قال: "ما أكبر عجزتها!" فضربها على قفاها، فهم طمّاعون، غايتهم الدّنيا، ليس عندهم حياء ولا شرف

ولا حرص على أعراض المسلمين، والآن انظروا إليهم في داعش يستبيحون أعراض المسلمين بزعم أنّهم مشركون، وأنّ هؤلاء سرايا تسرّون بهم.

وانظر ما حصل في الرّبيع العربي في الدّولة الفلانيّة، والدّولة الفلانيّة، والدّولة الفلانيّة مشوا على دماء المسلمين الجماهير؛ لقلّة التقوى والورع.

ثمّ قال: «وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا» يعني لا تستنكف إذا تسلّط عبد حبشيّ، وجاء في رواية: «كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ» تسلّط بقوّة السّلاح وحكم، اسمع وأطع له، ليس لذاته ولكن لما يترتّب على ذلك من مصالح؛ وأنّ الخروج عليه يترتّب عليه من المفاسد الكبار العظام وهذا ما تفعله الأحزاب اليوم، هدفها دنيويّ ولو على حساب أرواح المسلمين، وأعراض المسلمين، ودماء المسلمين بل استخدمتهم الدّول الكافرة وأزّتهم أزًّا لتضييع أمن المسلمين؛ ولكي يأتوا فيأخذوا أموال المسلمين وأرضهم، وهم أغبياء يظنّون أنّ في ذلك مصلحة لهم، وهم جهّال قد أخبر عنهم النّبيّ -صلى الله عليه وسلم-: «حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ».

ثمّ قال مخبرًا: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيْرًا» هذا إخبار؛ لم يتركهم -صلى الله عليه وسلم-، قال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» أي: الزموا طريقي وهديي «وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ الْمَهْدِيِّيْنَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»؛ من هم الخلفاء الرّاشدون؟ يقول ابن رجب -رحمه الله تعالى-:

"قوله -صلى الله عليه وسلم-: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيْرا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ الْمَهْدِيِّيْنَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» هذا إخبار منه -صلى الله عليه وسلم- بما وقع في أمّته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدّين وفروعه وفي الأقوال والأعمال والاعتقادات. وهذا موافق لما روي عنه من افتراق أمته على بضع وسبعين فرقة، وأنّها كلّها في النّار إلّا فرقة

واحدة وهي من كان على ما هو عليه وأصحابه، وكذلك في هذا الحديث أمر عند الافتراق والاختلاف بالتّمسّك بسنّته وسنّة الخلفاء الرّاشدين من بعده؛ والسّنّة: هي الطّريقة المسلوكة فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الرّاشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال" ثّم قال: "وفي أمره -صلى الله عليه وسلم- باتّباع سنّته وسنّة الخلفاء الرّاشدين بعد أمره بالسّمع والطّاعة لولاة الأمور عمومًا دليل على أنّ سنّة الخلفاء الرّاشدين متّبعة كاتّباع سنّته بخلاف غيرهم من ولّاة الأمور" أي أنّ أمرهم مقرون بطاعة الله ورسوله، فالطّاعة كما قال –صلى الله عليه وسلم–: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

قال: "وفي مسند الإمام أحمد وجامع التّرمذي عن حذيفة قال: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ إِنِّي لَا أَدْرِي مَا قَدْرُ بَقَائِي فِيكُمْ فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ وَمَا حَدَّثَكُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ فَصَدِّقُوهُ» وفي رواية: «وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ» أي: عبد الله بن مسعود «وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ» فنصّ -صلى الله عليه وسلم- في آخر عمره على من يقتدى به من بعده، والخلفاء الرّاشدون الذّين أمر بالاقتداء بهم هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فإنّ في حديث سفينة عن النّبيّ -صلى الله عليه وسلم-: «الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَصِيرُ مُلْكًا»".

وهناك من أهل العلم من يعدّ الخلفاء الرّاشدين هم جميع أصحابه –صلى الله عليه وسلم– والتّابعين وأتباعهم، مستنبطين ذلك من قوله –صلى الله عليه وسلم–: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

وهناك أيضًا من أهل العلم من يعدّ الخلفاء الرّاشدين كلّ أهل العلم من أهل السّنّة؛ لأنّهم خلفوا النّبيّ –صلى الله عليه وسلم– في سنّته وفي حفظها والدّعوة إليها، فأخبر النّبيّ–صلى الله

عليه وسلم- بالعلاج إذًا فعلاج التّفرّق والتّنازع وترك ذلك ودرئه إنّما يكون بالتّمسّك بسنّة النّبي طريقه وهديه، وما كان عليه السّلف الصّالح، التّحاكم له والتّنازع لذلك.

ثمّ حذّر -صلى الله عليه وسلم- ممّا يكون سببًا للاختلاف والتّنازع وهو البدع والمحدثات فقال -صلى الله عليه وسلم-: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» فدلّ على أنّ المحدثات والبدع تسبّب الافتراق والتّنازع ووجود الأحزاب، وهذا قد نصّ عليه السّلف، فإنّ البدع تجرّ إلى السّيف، والبدع تجرّ إلى الأحزاب، والأحزاب تجرّ إلى القتال والحروب وسفك الدّماء، وهذا ما دلّ عليه أثر عبد الله بن مسعود الذّي رواه الدّارمي، فقد روى الدّارميّ قال من حديث عمرو بن يحيى بن عمرو بن سلمة قال: "كنّا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة" أي قبل صلاة الفجر من حرصهم على طلب العلم، وهذا يدلّ على أنّ من الأمور التي ينبغي على طالب العلم أن يلتزم العلماء يأخذ منهم السَّمت والهدي والتَّقوى والعلم ويتربَّى على أيدي علماء.

قال: "كنّا نجلس على باب عبدالله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد" هذا يدلُّ أيضًا على فضل صحبة العالم في إذهابه وإيابه "فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرّحمن؟" أي عبد الله بن مسعود "أخرج إليكم أبو عبد الرّحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتّى خرج" أي عبد الله بن مسعود "فلمّا خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى" وأبو موسى وعبد الله بن مسعود كانا في الكوفة أرسلهم عمر -رضي الله عنه- عبد الله بن مسعود أميرًا على الكوفة، وأبو موسى الأشعري قاضيًا ومعلّمًا "فقال له أبو

موسى: يا عبد الرّحمن إنّي رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرتُه ولم أرَ والحمد لله إلّا خيرًا" يعني ظاهره خير ولكن استنكره؛ لأنّه لم يعهده في حياة النّبي -صلى الله عليه وسلم- ولا في حياة أبي بكر، قال: "فما هو؟ قال: إن عشت فسترى" يعني سنذهب للمسجد، قال: "رأيتُ في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصّلاة، في كلّ حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كبّروا مائة، فيكبّرون مائة" يعني مجموعة حلق وعلى كل حلقة رجل واقف ومعهم حصى، فيقول لهم:"كبّروا مائة" فيكبِّرون الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر "سبِّحوا مائة" سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، لم يكن يعهدها في حياة النّبيّ -صلى الله عليه وسلم-، لم يكن النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- يجعل حلقًا ويوقف على رأس كلّ حلقة واحدًا يذكّرهم بالتّسبيح والتّهليل، فيقول: "كبّروا مائة فيكبّرون مائة، فيقول هلّلوا مائة فيهلّلون مائة، فيقول سبّحوا مائة فيسبّحون مائة. قال: فماذا قلتَ لهم؟ قال: ما قلتُ لهم شيئًا انتظار رأيك" وفيه أدب الطّالب مع العالم، إذا كان العالم موجودًا اترك الأمر له، هو الذي يصحِّحه وهو الذي يعالجه، وهذا من الحكمة والفقه واحترام العالم، وهذا تنبيه لطلَّاب العلم اليوم خاصَّة كثر التَّنازع والاختلاف، اترك الأمر للعلماء هم يعالجون فلا تُدخل رأسك في كلّ فتنة، إن أمنك الله وهناك من يقوم به غيرك فاحمد الله -عز وجل- ؛ قال: "انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدّوا سيّئاتهم وضمنت لهم ألّا يضيع من حسناتهم؟ ثمّ مضى ومضينا معه حتّى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذّي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرّحمن حصًى نعدّ به التّكبير والتّهليل والتّسبيح، قال: فعدّوا سيّئاتكم فأنا ضامن ألّا يضيع من حسناتكم شيئًا، ويحكم يا أمّة محمد ما أسرع هَلَكتكم! هؤلاء صحابة نبيّكم -صلى الله عليه وسلم- متوافرون، وهذه ثيابه لم تبلَ، وآنيتهُ لم تُكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة

محمد أو مفتتحوا باب ضلالة" اسمعوا الفقه، ما قال هذه حسنات، أو بدعة حسنة، أو ناس يبغون الخير، العبرة بالاتباع وليس بكثرة الأعمال، "والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ،قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه! إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حدثنا أن قوما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم -أي لا يفقهون فمجرد تلاوة- وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم" أي ذهب عنهم عبد الله بن مسعود، اسمع يا أخي قال عمرو بن سلمة الراوي عن أولئك الذين يتعبدون الله بالبدعة والمحدثات وهذا مما يؤكد ما أخبر به النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما أخبر بالافتراق وقال: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ» قال عمرو بن سلمة: "رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج" أولئك الذين يتعبدون ويتزهدون ويفعلون محدثات في غير السنة، يطاعنون الصحابة وعلي بن أبي طالب مع الخوارج، هذا والله رأينا اليوم ممن تربى مع جماعة التبليغ، أو جماعة الإخوان، أو جماعة السرورية، أو مع داعش يظهر العبادة والطاعة، ثم فجأة قال والله فلان فجَّر نفسه، هذا الذي كان يتعبد الله، ولكنها على غير السنة.

أولئك الآن يدَّعون الجهاد ملئوا الأمة صياحًا؛ الجهاد، الجهاد، الجهاد، نقاتل أمريكا، نقاتل اليهود، نقاتل روسيا، ثم رأينا ذاك الجهاد تفجيرًا لولاة أمر المسلمين وقتلًا في مساجد المسلمين، الآن شوف داعش سواء في اليمن أو في العراق قوات التحالف السنية تقاتل الرافضة، والخوارج يفجرون بالمسلمين أهل السنة ويقاتلون التحالف هؤلاء كأولئك هذه قواعد عظيمة وضعها السلف، وضعها النبي –صلى الله عليه وسلم–وقس الأشياء بالأشياء، فدل هذا يا إخواني على أن البدع بريد الكفر، يقول الشيخ الألباني بعد أن صحح هذا الأثر في السلسلة الصحيحة في

المجلد الخامس صفحة إحدى عشر برقم ألفين وخمسة قال -رحمه الله تعالى-: "وإنما عنيت بتخريجه من هذا الوجه لقصة ابن مسعود مع أصحاب الحلقات فإن فيها عبرة لأصحاب الطرق وحلقات الذكر على خلاف السنة " إلى أن قال: "ومن الفوائد التي تؤخذ من الحديث والقصة أن العبرة ليست بكثرة العبادة وإنما بكونها على السنة بعيدة عن البدعة. وقد أشار إلى هذا ابن مسعود -رضي الله عنه-بقوله أيضًا: "اقتداء في السنة خير من اجتهاد في بدعة" ومنها أن البدعة الصغيرة بريد إلى البدعة الكبيرة، ألا ترى أن أصحاب تلك الحلقات صاروا بعدُ من الخوارج الذين قتلهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب" انتهى كلامه -رضي الله عنه-.

وهذا يا إخواني ما ذكره السلف ويؤيد ويبرهن ما جاء من آثار تدل على أنه ما اجتمع قوم على بدعة وحزب مخالف لحزب الله إلا كان نهايتهم الخروج والتكفير وسفك الدماء، وهذا ما تفعله الجماعات اليوم المعاصرة والأحزاب المعاصرة.

يقول أبو قلابة -رحمه الله- كما رواه اللالكائي والدارمي: "ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا السيف" وروى الدارمي أيضًا عن أبي قلابة قال: "إن أهل الأهواء، أهل الضلال ولا أرى مصيرهم إلا النار، فجربهم فليس أحد منهم ينتحل قولًا أو قال حديثًا سيناهي به الأمر دون السيف" أي: ينتهي به الأمر بالسيف "وإن النفاق كان ضروبًا ثم تلا: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ ﴾ الـتوبة: ٧٥، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾ الـتوبة: ٥٨، ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ ﴾ الـتوبة: ٦١، اختلفوا المنافقون فاختلف قولهم واجتمعوا -أي المنافقين- في الشك والتكذيب وإن هؤلاء أي أهل البدع اختلف قولهم واجتمعوا في السيف، ولا أرى مصيرهم إلا النار" هذا والله الواقع، الآن الجماعات؛ جماعة الإخوان، جماعة التبليغ، داعش، جبهة النصرة، أنصار الإسلام، كلهم

أصحاب رايات، ولكن كلهم اجتمعوا على السيف والخروج على ولاة المسلمين، ومشوا لتحقيق مآربهم الدنيوية على جماجم العباد والمسلمين حتى على الأطفال، حتى على النساء الضُّعف، حتى على الشيوخ لا يبالون قلّت التقوى في قلوبهم، أخبر عنهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أن قلوبهم قلوب الذئاب في جثمان إنس، فمن نظر إلى هذه الآثار، وهذا التأصيل من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- يعلم أن الخير للأمة هو أن يعتصموا بحبل الله وأن الله -تعالى- لم يترك العباد هملًا، فما من خير إلا أمر به القرآن وأمر به النبي -صلى الله عليه وسلم-، وما من شر إلا حذر منه القرآن وحذر منه النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فالخير الاجتماع على عقيدة واحدة وعلى قيادة وراية واحدة، اجتماع القلوب وهو على اعتقاد أهل السنة لما قرره الله في كتابه، وقرره نبيه -صلى الله عليه وسلم- في سنته، ومشى عليه الخلفاء الراشدون والسلف الصالح، ونحذر من المحدثات والبدع ولو أن الناس التزموا ذلك ورجعوا إلى علمائهم عند الاختلاف والتنازع كما قال -تعالى-: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣﴾ [النساء: ٨٣]، لكن الناس ركبوا أهواءهم زهَّدوا الناس بالعلماء، فإذا زهَّدوا الناس بالعلماء، الآن الشبيبة لا يحبون الفوزان، ولا يحبون ربيع المدخلي، ولا يحبون عبيد الجابري، ولا يحبون قبل ذلك ابن باز وابن عثيمين، والله كانوا يخرجونهم إلى الصحاري، تربية على السلاح وعلى التنظيمات السرية وعلى حب مؤلفات أهل البدع كسيد قطب وغيره من المُنظِّرين الفكريين، ما الذي انتجوه في أبنائنا، ما الذي انتجه في العالم الإسلامي إلا الدمار

والخراب والجماعات والمحدثات والأحزاب، وهذا الواقع خرجت اليوم جماعات ورايات وأحزاب، وتؤزها قوى الكفر والاستخبارات العالمية؛ لأنهم يعلمون أن المسلمين إذا قويت شوكتهم من الداخل لن يتمكنوا منهم أبدًا، فلهذا يضعفونهم من الداخل، فإذا ضعف المسلمون من الداخل تزعزعوا، ولهذا هذه الثورات العربية التي يسمونها الربيع العربي أزَّها الأعداء أزًّا لتخلخل الأمن الداخلي، وتضعف العلاقة بين الحاكم والمحكوم فتسقط هيبة الحاكم، ثم بعد ذلك يسهل الدخول في وسط المسلمين، وهؤلاء أغبياء أصحاب الأحزاب سواءً كانت أحزابًا دينية تسمي نفسها إسلامية وهي بعيدة عن الإسلام، أو أحزابًا علمانية ليبرالية كلها خدم لأعداء الإسلام ولا يغرنكم كثرتهم، فالعبرة ليست بكثرة الناس، العبرة بالحق كما قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: **"الجماعة الحق وإن كنت وحدك"** يقول الإمام أبو عثمان الصابوني -رحمه الله-: **"ولا يغرن إخواني وفور أهل البدع وقلة أهل الحق فإن وفور أهل البدع وقلة أهل الحق من علامات الساعة"** ثم ذكر الحديث: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ» قال: **"والجهل هو البدعة، والعلم هو السنة"**.

ولما خرجت فينا هذه الجماعات في هذا الزمان ما الذي أنتج فيهم؟

أولًا: أنتج فيهم ترك دعوة التوحيد؛ لأنها تدعو لنفسها وتنظر إلى أن الحاكمية هي أهم شيء، وتريد أن تنازع الحاكم، فأهملوا التوحيد، وأهملوا التحذير من الشرك، الآن انظر للإخوان المسلمين في مصر وفي سوريا وفي غيرهم كم مضى من دعوتهم؟

مضى لهم الآن ما يقارب مائة سنة، بالله عليكم أزاحوا قبرًا يعبد؟! أزاحوا بدعة؟!

ملايين المسلمين يموتون على الشرك الأكبر وهم يرونهم في أعينهم ويتركونهم، أليس هذا مخالفة لمنهج الأنبياء؟! أليس هذا خيانة للأمة؟! أين إنقاذ الناس! أين رحمة الناس! أليس الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[النساء: ٤٨].

انظروا إلى مولد أحمد البدوي في مصر كل سنة ملايين يجتمعون ويستغيثون به وهم ينظرون لا يحذرون، في العالم كله حتى من بيننا من دعاتنا هنا من بني جلدتنا الذين درسوا الأصول الثلاثة، والقواعد الأربعة، والواسطية وغيرها، لكن لما انتهجوا منهج السرورية والإخوان يقولون عن الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك إن هذه ظاهرة قديمة، وإنما الذي يحارب الآن هو شرك القصور، أي خيانة لله ورسوله؟!

من آثار هذه الأحزاب الفرقة والاختلاف بين أهل السنة، وهذا الذي يحصل بيننا لا نروح إلى مصر والسودان والعراق وروحوا هنا هنا، قبل كنا إذا قال ابن باز شيئًا أو ابن عثيمين سمعنا وأطعنا؛ لأنه مجتمعون حول علمائنا، حول ولاة أمرنا، ثم جاءوا يربون الشباب وأزاحوا البساط عن العلماء وربطوا الطلاب والشباب بدعاة الفتن، أصبحوا عيالنا، أولادنا يفجرون في أهلهم، هذا يفجر في خاله يتقرب إلى الله بقتل خاله اللي رباه، وهذا يقتل ابن عمه، بالله عليكم هذا هو يدعو له الإسلام والجهاد! فرقة واختلاف بيننا اليوم.

من آثار هذه الأحزاب فصل الأمة عن السلف، وهذا أخطر ما يكون كما يقول أحد منظري السرورية، وهو محمد سرور زين العابدين عن مؤلفات السلف يقول: "إن كتب السلف كتب جفاء" يعني يريد أن يفصل الأمة والشباب عن كتب أحمد بن حنبل، والبخاري، والدارمي،

والإمام مسلم، وأئمة السلف ويربطونهم بالكتب الفكرية ليفرخوا فيهم ما يريدون؛ ولأن الشباب إذا قرءُوا كتب أهل العلم انكشف عور هذه الأحزاب وهذه الجماعات.

أيضًا من أخطار هذه الأحزاب: فصل الأمة عن علمائها الربانيين المعاصرين وخاصة منهم من يعرف خبايا هذه الجماعات وقوَّادِها ومنظريها، هؤلاء علماء سلطة، هؤلاء علماء حيض ونفاس، هؤلاء لا يفقهون الواقع، فابعدوا الشباب وطلاب العلم والأمة عن العلماء الربانيين، وهذا من أخطر ما يكون، الارتباط بالسلف والعلماء هو صلاح الأمة كما قال وهب بن كيسان مما نقل عنه الإمام مالك كما رواه ابن عبد البر في التمهيد: "لا يصلحُ آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها" وقد مررنا على ما أصلح الأمة، والأمة اليوم لن تصلح ولن تقوى شوكتها ولن تغلب أعداءها إلا على راية التوحيد وما كان عليه السلف، ليس بقوة عتاد كما قال -عز وجل-: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[النور: ٥٥]، أي: حققوا التوحيد والسنة ﴿لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾[النور: ٥٥].

من آثار ومخاطر أيضًا هذه الأحزاب: عدم تعظيم مكانة ولي الأمر وتنقيص مكانته الشرعية، وقد أخفوا على الشباب النصوص النبوية التي تأمر بالسمع والطاعة، ويُزهِّدون في النصوص، في الأحاديث الواردة في هذا الباب، وسمعتم أن أعظم ما يرضاه الله عنا التوحيد والاعتصام والسمع والطاعة لولي الأمر، وأن من عادة أهل الجاهلية ترك هذه الأمور الثلاثة، ولذلك هذه الأحزاب أرجعت الأمة ورب الكعبة إلى ما كان عليه أهل الجاهلية، فلا يهتمون بالتوحيد، ولا

يعتصمون بالكتاب والسنة ويجتمعون عليها كما يُقعِّد مؤسسهم يقول أنَّا نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، حتى إنهم كما لا يخفاكم رأَّسوا على بعض الجهات من فروعهم الإخوانية نصارى، وقال أحدهم: إن الخلاف بيننا وبين اليهود ليس خلافًا دينيًّا، شوف -سبحان الله- وين قول الله -عز وجل-: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ١-٦]، أين ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۝٥٥﴾ [المائدة: ٥٥].

ومن آثارهم: تمييع الولاء والبراء والحب في الله والبغض في الله؛ لأن الاجتماع على الأحزاب، وليس على قال الله قال رسوله، وليس الحب في الله والبغض في الله، يقول -صلى الله عليه وسلم-: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ» الحديث الآخر «وما الدين إلا الحب في الله والبغض في الله»

أيضًا من مخاطرهم ومن مفاسدهم: إبعاد الأمة عن طلب العلم الشرعي، وإشغالهم بالملهيات؛ أناشيد، تمثيليات، رحلات وأبعدوهم عن الجلوس مع العلماء وعن طلب العلم وعن كتب العقائد كتب السلف، الفقه في الدين، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» وصلاح الأمة بالعلم وبالارتباط بالعلماء، فإذا ذهب العلماء أو زُهد بهم، أو تُرِك السماع لهم ظهر الفساد، وهذا ما جاء عند الإمام البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا

يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

فهذه بعض مفاسد هذه الأحزاب التي خرجت في هذا العصر ودمرت الأمة، وضيعت شبابها، وقوَّت أعداءها عليها وهي آخر ما أردنا أن نتكلم به من نقاط هذه المحاضرة.

أسأل الله –سبحانه وتعالى– بمنه وكرمه أن يوفقني وإياكم إلى العلم النافع والعمل الصالح، وأن يصلح هذه الأمة وأن يرجعها إلى ما كان عليه سلفها الصالح، وأن يجعلهم متمسكين بكتاب ربها وبسنة نبيها –صلى الله عليه وسلم–، ونسأل الله –عز وجل– أن يقمع أهل البدع والأحزاب التي تفرق وتريد أن تفرق الأمة، وتضعف شوكتها.

والله الموفق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

الأسئلة:

السؤال:

شكر الله لكم صاحب الفضيلة، وكتب الله أجركم وأجزل لكم المثوبة، ونستأذنكم في عرض بعض السُّؤالات المتعلقة بموضوع هذه المحاضرة:

يقول: سلمكم الله، ما رأيكم فيمن يقول إن الجماعات الموجودة اليوم في الساحة كل منها على ثغر من ثغور الإسلام، يكمل بعضهم بعضًا، وإن من التعصب أن نصنف هذه الجماعات بأنها من الفرق النارية؟

الجواب:

أولًا: هذا مصادمٌ لقول الله -عز وجل-: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٣.

وثانيًا: مخالفٌ لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَة».

وثالثًا: مخالفٌ لما كان عليه السلف من التحذير من الجماعات التي خرجت في زمانهم وعندهم من البدع أقل مما عند الجماعات المعاصرة اليوم، ومع ذلك كان السلف واقفين لهم بالمرصاد

كالخوارج، وكالمعتزلة، وكالجهمية، وغيرهم من أهل البدع، ثم إن هذه المقولة إنما نشأت من قاعدة التراث التي قعَّدها لهم شيخهم وزعيمهم في هذا العصر عبد الرحمن عبد الخالق، فقد كتب في كتابه أصول العمل الجماعي أن الخلاف بين الجماعات يعني الإخوان والتبليغ والسلفيين، وجعل السلفيين مع هذه الجماعات المعاصرة وهذا قولٌ باطل، فالسلفيون هم أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية الطائفة المنصورة؛ لأن العبرة بما كان الناس عليه، قال: فالاختلاف بينهم اختلاف في الأولويات، يعني التبليغ يرى أن الأولويات إصلاح القلوب، والزهد، وفضائل الأعمال، والخروج في سبيل الله، والإخوان يصادمون الحكام ويبارزونهم، ويدعون للسياسة وهكذا، وهذا كله باطل وتفريق للأمة وتقوية لشأن البدع، وهذه الجماعات من عرف تفاصيلها ومقاصدها وأسسها رأى أنها مخالفة لأهل السنة والجماعة، ولهذا لما سئل ابن باز والألباني عن جماعة الإخوان، وعن التبليغ وغيرهم من الأحزاب قال: "أنها ليست من أهل السنة والجماعة".

السؤال:

أحسن الله إليكم يقول هذا: كثير من الجماعات -هكذا بالكثرة- تسمي نفسها سلفية وبعضهم أنهم سلفيون، فهل يجوز الانضمام لهم؟

الجواب:

ليس كل من ادعى وصلًا بليلى دعواه صحيحة، فالدعاوى إن لم تكن عليها بينات وبراهين فمردودة على أصحابها، والعبرة بما يدعون إليه، فالذي يدعو إلى البدع وإن سمى نفسه سلفيًا

فدعواه باطلة، الذي يدعو إلى الخروج على الحكام والمظاهرات ويدعي أن هذا طريق السلف، فهذا مردود عليه بنص القرآن والسنة، وإجماع العلماء، الذي يُزهِّد الناس عن العلماء الربانيين ويربط الناس بالمفكرين وأصحاب الآراء الفكرية السياسية، ويدعي أنه سلفي فهذا دعواه مردودة عليه، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما أخبر بالفرقة الناجية لم يتكلم عن أعيانها، وإنما تكلم عن أوصافها، فقال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي» فليست العبرة بالدعاوى، فليس كل من ادعى ذاك تقبل دعواه، فالمنافقون كانوا يدَّعون الإسلام في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولكن كذبهم الله -عز وجل- وإن أظهروا الإسلام وقَبِل الناس منهم بحكم ذلك ولكن كذبهم الله وقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ال ساء : ٥٤١، نعم نحن لا نكفر الناس، ولكن نقول العبرة بالاتباع وما كان عليه السلف؛ ولهذا ذكر شيخ الإسلام في آخر «الواسطية»: **"أن من أصول أهل السنة اتباع الكتاب والسنة وما أجمع عليه السلف وأنهم يزنون بهذه الأصول الفرق والجماعات والمقالات"** إذًا ليست العبرة بالدعوى العبرة بالحقيقة والمنهج.

شكر الله لكم وجزاكم الله خيرًا وبارك فيكم ونفعنا بما قلتم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net

وجزاكم الله خيرا.